جامعة 8 ماي 1945 -قالمة-
كلية الحقوق والعلوم السّياسيّة
قسم العلوم السّياسيّة

محاضرات مادة:

الدراسات المناطقية الأمنية

للسنة أولى ماستر دراسات إستراتيجية وأمنية

د. بوستي توفيق

2021/2020

المحاضرة 1/ الدراسات المناطقية: بحث في المفهوم والأهداف

يعد حقل الدراسات المناطقية حقل حديث النشأة في المؤسسات الجامعية، حيث يرتبط **بالبيئة الأكاديمية الأنجلوساكسونية** خاصة في ظل المجهود البحثي الذي أفرزته المؤسسات الجامعية الأمريكية منذ أربعينيات القرن العشرين، وهي كحقل دراسي تنتمي إلى ما يسمى **ما بين حقول الدراسة** الذي يعبر عن التوافق مع الميل لتوسيع مجال التعليم والتركيز على الدراسة المعمقة، حيث أن فهم مكان معين يقتضي تضمينا لنوع خاص جدا من المعرفة تشمل التركيبة الفريدة للظروف التاريخية والواقع الجغرافي والعمليات الإجتماعية والتشكيلات الثقافية وخصوصية المؤسسات وحالة التعقيد في الأداء.

وعموما هي كانت رغبة في فهم معمق لمنطقة معينة أو إمتداد معين، فالولايات المتحدة الأمريكية هي أول من تخصص في هذا المجال وكانت دراسات معمقة وخصصت إعتمادات مالية من أجل التقدم في المجال، خاصة في الجامعات ومراكز البحث وتكليف مجموعة بحثية للتقصي على النظام الياباني وذلك مقابل مادي معين، ونفس الأمر طبق مع الجامعات.

ظهرت الدراسات المناطقية لتكون ناتج ثقافي عرضي للدولة الحديثة والأطر الإقليمية وتلك المؤسسات التي تم دعمها في هذا السياق، في ذروة صعود الدولة الحديثة في الفترة الممتدة ما بين 1945- 1190، كما تجدد الدراسات المناطقية تبريرها الرسمي في ذاتها كونها تخدم المجالات العلمية والوظائف والأعمال والمصالح الوطنية ، والسبب الجوهري في ذلك يشتق من الحاجة لفهم التنوع في التجربة الإنسانية وهو التنوع الذي يورط على نحو متزايد في دراسة سياسات الهوية والنقاش حول التعددية الثقافية والإنسجام المجتمعي والأداء الإقتصادي وخطوط النزاع وفرص التعايش.

من جانب أخر وجد مدراء المؤسسات الجامعية والمشرعون وكالات التمويل مبررا جوهريا لتلك الدراسات من خلال أن أي دعم مؤطر أو مؤسساتي لإنتاج المعرفة حول منطقة معينة، كما يعتمد أكثر فأكثر على ما صار يعرف بالعولمة الأكاديمية للنشاط الجامعي والأداء الحكومي خاصة مع الميل لتوسيع الأنشطة البحثية عبر كل مناطق العالم وفق الإعتقاد القائم بتفاوت الأهمية بين تلك المناطق، إلى جانب وجود إرادة واضحة بشأن إيجاد عوائد لظواهر الهيمنة والتوسع حول العالم وتأسيس السلطة الخاصة ضمن الثقافة العالمية.

كما يجمع الدراسات المناطقية في طبيعتها بين حقول الدراسة وذلك على مستويين المستوى **الفردي** والمستوى **المؤسساتي**، من خلال دراسة مؤسسات رسمية وأخرى غير رسمية فكل دولة وخصوصيتها: دين، قبائل.... أما الفرد فيتعلق بجهود الأفراد وأهل الإختصاص وجهودهم فمثلا في الدراسات الأمريكية اللاتينية تتضمن نشاط علماء السياسة واللسانيات والمختصين في الأدب والفن وعلم الإجتماع والعادات والانماط الثقافية الذي يعكس ثقافة معينة مثل مصر مثلا حيث التركيز على المنجزات السابقة، والجانب الإجتماعي من خلال فهم أرضية التجانس الإجتماعي.

وكل من هؤلاء يقدم جزء من المعرفة في إطار جهد جماعي، وعلاوة على ذلك فكل مختص في منطقة يتوقع أن يقدم قدر من المعرفة ما بين حقول الدراسة في بحثهم، كما أن التفرد بمنظور واحد للتخصص في دراسة منطقة أصبح مرفوض أكاديميا حيث يطلق عليه سمة العمي وهو ما يفرض توسيع المجال لزوايا أخرى للدراسة تضم الموروث الثقافي والأداء الإقتصادي والجانب النفسي والحراك المجتمعي والطموحات القومية.

كما تأثرت الدراسات المناطقية بما يعرف بالمناطق الثقافية أو الدراسات الثقافية الذي تمت إشاعته من قبل علماء الأنثروبولوجيا الألمان ثم تم تطبيقه من طرف علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيين لدراسة أمريكا الشمالية وما تحويه من ميراث ثقافية وإجتماعية ثم محاولة تحديد المناطق المماثلة في أسيا، وأول من إستعمل مصطلح الدراسات الثقافية هو ريتشارد هوقار 1964 م عندما أسس مركز بيرمينغهام للدراسات الثقافية المعاصرة.

كما أن فهم ثقافات الشعوب واكبه الرفض لهذه الشعوب للإستعمار في الخمسينيات فكان لا بد من معرفة هذه الشعوب وخصوصيتها، فقاموا بإيفاد الخبراء في الإقتصاد والأمن ولضمان الحد الأدنى لبناء رابطة ولاء إستعمارية جديدة ، وفي بداية الستينات كانت إرادة ضد الإمبريالية والمعسكر الغربي في التواجد وكذا المعسكر الشرقي في التواجد كذلك ، صراع شديد في كيفية إعادة التموضع وإستمر إلى 1965 وهي سنة فارقة بسقوط رئيس الإتحاد السوفيتي وأنظمة كثيرة ، فالإتحاد السوفيتي بدأ ينكفئ إلى الداخل ومجموعة كثيرة من الإنقلابات وتراجع فكرة القومية ، وبداية خروج فرنسا من المظلة الأمريكية ...

وفي عام 1965 فالولايات المتحدة الأمريكية وتورطها في فيتنام (جونسن يجب أن نربح الحرب) إلى جانب وجود دول متحررة حديثا عاجزة عن الفهم أين تكون مع التخلف الشديد من جراء الإستعمار، كما إكتسبت الدراسات المناطقية شعبية متزايدة بعد الحرب العالمية الثانية في الولايات المتحدة الأمريكية وفي الثقافة الغربية حيث أنه وقبل الحرب لم يكن هناك إلا عدد قليل من الجامعات الأمريكية التي تضمنت كليات أجرت البحوث على العالم غير الغربي بما جعل دراسة المناطق الأجنبية عمليا غير واردة ، ولقد نشأ قلق متنامي لدى الليبراليين والمحافظين على حد سواء بشأن القدرة الأمريكية في أن ترد عمليا على التهديدات الخارجية التي أصبحت فيما بعد الحرب أكثر ورودا من الإتحاد السوفيتي والصين في حقبة تصاعد الحرب الباردة ، إضافة إلى الفراغ الإستراتيجي الناشئ من تصفية الإستعمار في إفريقيا وأسيا وكذا بروز قيادات وطنية في أمريكا اللاتينية تهدد النفوذ الأمريكي، في ظل هذا السياق عقدت مؤسسة فورد ومؤسسة روك فيلر ومجموعة كارنيجي سلسلة من الإجتماعات نتج عنها إجماع واسع في مخاطبة هذا العجز وإقرار بأن الولايات المتحدة الأمريكية يجب أن تستمر في الدراسات الدولية.

وقد سبق ذلك منحة مالية قدمت خلال الحرب العالمية الثانية من مكتب البحوث التابع للبحرية الأمريكية لبحث الحضارات المعاصرة في عدد من البلدان الأسيوية والأوروبية وتولت روت بينديكت

الإشراف على فريق بحث من جامعة كولومبيا وكانت تخضع مباشرة للمخابرات الأمريكية، إن هذا التوجه المقترن بتوظيف الموارد المالية في فهم الدراسات المناطقية تم إستثماره في خدمة أهداف السياسة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية.

لقد رافع المشاركون في إجتماعات روك-فيلر كارنيجي فورد على أن الجهد الفكري لعلماء الإقتصاد والسياسة الموجهة خارج الولايات المتحدة الأمريكية هو بمثابة أولوية قومية مستعجلة، والحقيقة فإن هناك خلاف مركزي بين الذين شعروا بأنه بدل من تطبيق النماذج الغربية فإنه على علماء الإجتماع تطوير المعرفة موضوعة في السياق الثقافي والتاريخي للبلدان بالعمل مباشرة مع يسمون الإنسانيين وبين هؤلاء الذين أكدوا على أن علماء الإجتماع أن يسعوا في تحوير النظريات التاريخية الكلية من أجل أن تصحب الإرتباطات بين أنماط التغيير والتطوير عبر الجغرافيات المختلفة.

لقد أسست مؤسسة فورد برنامج رفيع المستوى سمي **برنامج رسالة المنطقة** بحصة مالية 270 مليون دولار في 1950 قدمت إلى 34 جامعة بغية دراسة اللغات وفهم المناطق، كما تم ضخ منح إضافية إلى اللجان المدارة عن مجلس علم الإجتماع البحثي والمجلس الأمريكي للمجتمعات كما تم تطوير عمليات النشر وإجراء البحوث، ولم تحل سنة 1965 إلا وإدارة التعليم العالي الجامعي تمول حوالي 125 وحدة دراسات مناطقية، من جانبه بدأ الجيش الأمريكي سنة 1950 في إعداد نفسه لإحتمال خوض أكثر من حرب مع عدد من المجتمعات غير الغربية وكان ذلك يفرض دراسة دقيقة لأساليب حياة هذه الشعوب التي قد تحدث معها الحرب وقد بلغ من إهتمام المؤسسة العسكرية بهذه الدراسات الحد الذي أدى سنة 1957 إلى إنشاء قسم خاص في جامعة واشنطن يتفرع أعضائه تماما للبحوث المناطقية وسمي بمكتب بحوث العمليات الخاصة، ولقد قام هذا المكتب بدراسة شملت 50 بلدا من العالم أهمها الإتحاد السوفيتي، الصين، الهند، الكونغو، كوبا، تايوان، الهند الصينية.....

إن التخطيط العسكري بعد الحرب العالمية الثانية إحتاج إلى تقديرات يمكن الركود إليها بشأن قدرة المناطق إقتصاديا وإجتماعيا على الصمود في وجه أي هجوم بأسلحة الدمار الشامل ، ولقد تمت بالفعل الخطوة الأولى في تحقيق ذلك بعقد شراكة بين هيئة بحوث المصادر البشرية مع مكتب البحوث الإجتماعية التطبيقية التابع لجامعة كولومبيا في مشروع بحث يهدف إلى إنجاز كشاف شامل للمصادر الحضارية في العالم يتضمن ملفات بالمعلومات الأساسية من مدينة كبرى في العالم ، وتكلل بياناته المحللين من إجراء دراسة مقارنة وتطوير أساليب أكثر قابلية للإعتماد عليها في مواجهة القصف الجوي.

كما يعد مشروع كاميلوط أو الحرباء نموذج لتلك المشروعات الهامة في الدراسات المناطقية والتي قام بها مكتب العمليات الخاصة بمنحة حكومية قدرها 6 ملايين دولار وكان يتبع للمخابرات الأمريكية وكان مقدر له أن يستمر 4 سنوات حيث هدف المشروع إلى دراسة الظروف التي يمكن أن تؤدي إلى التدخل العسكري في البلدان النامية، وتوقف المشروع فيما بعد.

كما يمكن تحديد الأهداف العملية للتوجه للدراسات المناطقية فيما يلي:

1-إمكانية استخدام هذه الدراسات في الحرب النفسية باعتبار أنها تسهم في فهم البيئة الخارجية وتوقع الأعداء الفعليين أو المحتملين والتعامل بكفاءة وفعالية مع تلك البيئة، وبالتالي فان تلك الدراسات في جوهرها تشكل سلاح فعال في كشف قوة الخصوم ونقاط ضعفهم وخططهم المستقبلية ومدى الانسجام المجتمعي الحاصل لديهم، إضافة الى ادراج المسألة الطموحات الوطنية والقيم والجانب الرمزي ومحاولة استهداف هذه الأطر بشكل يعرقلها أو يوقع الهزيمة بالدولة.

2-إمكانية استخدام تلك الدراسات في مجال الدعاية الداخلية، أي في تبرير اتجاهات الولايات المتحدة الامريكية العدوانية بإبراز ما يتميز به العدو بإثارة للنفور وهذه الدراسات دفعت نحو تقوية تصميم الولايات المتحدة الامريكية على هزيمة خصومها وتحقيق الشعور بالذنب حيال استخدام شتى الوسائل لتحقيق ذلك.

3-ان هذه الدراسات لم تكن فقط تقدم معلومات عن خصوم الولايات المتحدة الامريكية فحسب بل عن حلفائها أيضا من أجل تمكينها من المضي معهم بشكل أفضل والتعامل معهم بشكل أفضل وكفاءة أكبر والوصول الى فهم احتياجاتهم الفعلية وتوظيف ذلك أثناء عمليات المساعدة والتدخل.

من جهة أخرى برزت حالات من التجمع بعد الحرب الباردة أو التقارب على أساس مناطقي واقليمي وأيديولوجي وتاريخي واقتصادي، وكان أول تجمع وضم مجموعة من الدول خاصة في أوروبا والامريكيتين.